الاستاذ

الجزء الثاني والعشرون من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣١٠ و١٠ اطوبه سنة ١٦٠٩

الموافق ١٧ يناير سنة ١٨٩٣

﴿ لَوْ كُنْتُمْ مِثْلَنَا لَفَعَلْتُمْ فِعْلَنَا ﴾

هي كلمة اوروبا التي ترددها على اسماع الشرقيين كلما فعلت فعلاً يحملها عليه الاستعمار الملكي او الانتشار الديني وقد احكمت التأليف بين القوتين الدينية والملكية فجعلت الاولى سفير وداد والثانية فارس جِلاد وقد اضاف كل ملك اوروبي الى عنوان الملك حماية الدين فيقول في مخاطباته ملك او امبراطور كذا وحامي الدين المسيحي او عبارة اشد وقعاً في النفوس من هذه ليعلم الامم انه القابض على زمامي السياسة والدين فيؤيد رجال السياسة بتنفيذ ما يرونه من لوازم تأييد الملك واتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم الغيرة على بثه والدعوة اليه فنرى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض اليه لا تفتر لهم همة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التي فيها حياة الدين والملك وزيادة شرف الامم . والامم لكونهم ادركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة الدين اندفعوا معهم اندفاع السيل في

المخدرات فعقدوا الجمعيات الدينية والعلمية والصناعية والتجارية والزراعية والسياسية واخذ كل فريق في احسان ما كلف به نفسه واوجبه عليه مجاراة جاره في الملك ومباراة نظيره في العلم او العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا قصده فاشتغلوا بما اشتغل به . وقد بلغوا القصد في بلادهم وخرجوا من بلادهم محمولين على قوتي الدين والملك سائرين على نور العلم والصناعة فدخلوا الاقطار الشرقية سائحين ومتجرين واستوطنوها مراقبين ومتغالبين وجرائدهم الكثيرة العدد برزت تتسابق في ميادين الانشاء بمواضيع مبتكرة ومقالات مطولة وعبارات مزينة فاصبحت ناقلة للاخبار ناشرة للآداب معلمة للعلوم موءيدة للمبادىء حاثة على المقاصد منشطة للهمم مرشدة للامم منبهة على الاغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن وثبة الجار او معاكسة المتاخم ناشرة للفضائل موءرخة لرجال الفضل والعمل حافظة لسير الملوك داعية افراد الامم الى ما فيه خير البلاد وتأييد الدين خادعة للشرقيين لاعبة بافكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبحة لما هم عليه من دين وسير ومعيشة وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بان الغرب محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل لا حياة للامم الا بما تاخذه عنه ولا مجد لمن لم ينتم اليه ولا فضل لمن لم يتعلم فيه ولا شرف لمن لم يتكلم بلسانه و يتعبد بعبادته ويتقيد بعاداته . هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التي لا تحتاج لبرهان بعد ظهورها للعيان

قالت اوروبا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صنع الاثاث واللباس وانكم في حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية

وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة اليها فاماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها فمايصنع في الهند والصين والعجم والاناطول وغيره انما ينفق ويباع على يد الاوروبي كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أُجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون ليروِّجوا تجارة اوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها الملكية بالايرادات المالية فلا حظ لهم في الوجود ولا رغبة لهم في الملك كانهم امام اوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجاراة اهلها ومما زادهم بعداً عن الصناعة وثمراتها وجود دخلاء أُجراء يزعمون انهم نصحاء يثبطون الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة ويغرونهم بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم يعلمون ان كثيرا من الممالك التي لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير واحيت صناعتها الوطنية وحتمت على اهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظاً لثروة اهلها فهم بصرفهم الهمم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقي في قبضة الغربي احتياجاً اليه وترك الشرق ميداناً لمسابقة رجال اوروبا فلا يجدون مصنوعا يعطل عليهم ولا معرضا عن صناعتهم فتبور . وضعفاء العقول يغترون بخداع هذا الدخيل ويظنون انه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الاعمال لوقوعهم في اليأس والقنوط بالمفتريات ورجال اوروبا تعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم باخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية لتساوونا

في الرتبة وفتحت لنا البيَر والخمارات والمقامر واباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكب الاغبياء والمغفلون على الخمور فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا الى المومسات فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم اختهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للأجنبي بعدم غيرتهم عليها فهم في رتبة القواد بل هم هم ومال فريق الى القمار فباع الغيط والدار واضطر لبيع حلى زوجته برضاها او بسرقته منها والكل عطف على المرابين يقترض ويصرف في الملاهي ومتلفات العقل والجسم والملك حتى اسكن الاوروبي مكانه وصار له خادماً بعد ان كان عظيماً محترماً وكلما تهالك الشرقيون على الخمور والملاهي واصلت اوروبا رسائل الخمر وارتحل اليهم المومسات وارباب الملاهي تحويلاً للثروة وازهاقاً لروح الدين حتى اصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لاشرقيين ولا غربيين واتخذتهم اوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها الى مقاصدها من الشرق وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية وما هي الا التوحش والرجوع الى الحيوانية المحضة اذ لو كان الانغماس في الملاهي ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته اوروبا وعدت مرتكبه همجياً جاهلاً مجنوناً ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة منها ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين عن العبادة وحضور الكنائس وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب في طريق الشرقي حتى لا يخطو خطوة الا وقد وقع في حبالة اوروبا ٠ ولما رأت اوروبا ان الشرقيين

لا ينتبهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول ولا يدركون مكايد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم ولا يهمهم ضياع اوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي تقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان الشرق في حاجة لتداخل اوروبا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الاوروبية واجمع رجال أوروبا على جعله قسماً مقابلاً لها وربطوا عزمهم على ضمه اليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلووا في الدخول فيه تلوى الافعى. وملكوا بعضه بالتجارة والبذل المالي وبعضه بدعوى مس حق دولة او اهانة بواب قنصل او حفظاً لطريق مملكة. والداهية الدهياء ان ملوك الشرق وعظماءه ملأُوا قلوب أممهم بالاوهام وخوفوهم من الاوروبي وارهبوهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم ان الاوروبي ملك يمكنه قلب المملكة او جنيٌّ يقدر على حرقها فامتلأُوا رعباً وخوفاً ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التي يعاملونهم بها في وقائعهم مع الاوروبين وقد اضطر وا كثيرًا من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك الى الاحتماء بالغير تفادياً من تلك المعاملة فكانوا اقوى يد للاوروبي في تداخله واستيلائه على ممالكهم. فلو ربوا رجالهم على الحماسة ومرنوهم على الاعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالادبيات وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم

العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم واوقفوهم على تواريخ آبائهم ومسابقات الدول في بلادهم ودسائس اوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون اوروبا باسم المصلحة الشرقية لوجدوا امامهم رجالاً واي رجال ولكنهم اهملوا ممالكهم واهدروا حقوق رعاياهم فاصبح ملوك اوروبا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ولا لوم على الاوروبيين في ذلك فانهم انما يسعون في مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون يرونهم يعملون الاعمال العظيمة في بلادهم وهم ينظرون اليهم نظر المغشي عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم او لايقاف تيار تداخلهم ويرونهم يسلبون اعمال امرائهم وولاتهم عملاً فعملا وهم ناكسو الرؤس منكمشون في ثيابهم . تسمع منهم اصوات عالية في خلواتهم يظنها السامع اصوات اناس حريصين على المجد والشرف فاذا خرجوا الى الطرقات ساقهم اضعف اوروبي بعصاه وهم بين يديه كانهم قطعان الاغنام تساق الى الحظائر . بين نقيس الجزائري اذا شاركه التونسي والهندي والمصري والقبرسي والمدني والمسقطي والزنجباري والبرنوي والبخاري والمروي والطاغستاني والتركاني والسرخسي وقابله المراكشي والافغاني برعدة الخائف الوجل ونظر اليه العجمي والعراقي واليمني والحجازي والنجدي والشامي والسوري والطرابلسي والاناطولي نظر المتوجس الحذر الذي تبعثه الهمة وتقعده القلة كلما شموا رائحة السلم من دولة جاءهم انذار

الحرب من اخرى سعياً خلف الدين لا طلبا لسعة الملك فانه لو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها في الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسعى اوروبا في تلاشي الدين الاسلامي اوجب هذا التحامل الذي اخرج كثيراً من ممالك الدولة بالاستقلال او الابتلاع . واننا نرى كثيراً من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم اوروبا يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا انها اعظم الدول ثباتاً واحسنها تبصراً واقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار اوروبا العدواني لانها دولة واحدة اسلامية بين ثماني عشرة دولة مسيحية غير دول امريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال اوروبا الى من يماثلهم مذهباً او يقرب منهم جنساً وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة على حدودها او وقاية دينها مع اتساع اراضيها وعدم وجود السكك الحديدية المسهلة للنقل والتحول وعدم وجود انهر مستمرة الفيضان في غالب اراضيها ووجودها تحت رحمة الله تعالى ان شاء امطرها فاخصبت او منعها فاجدبت وهذه امور لو ابتليت بها اعظم دولة اوروبية ماقاومت هذه الصواعق اكثر من عام او عامين وتسقط او تتلاشى . ولكنها تلام على اعطاء السكك الحديدية التزاماً للاوروبيين بواسطة اناس يزعمون انهم من رعيتها ظاهراً وهم فرنساويون او انكليز باطناً فان السكك الحديدية بالنسبة الى المملكة كالشرايين بالنسبة الى الجسم فهي من اعظم

العلل التي ستتخذها اوروبا وسيلة للتداخل باسم وقاية املاك اتباعها ومن لنا بكف يد الوزراء عن مثل هذا التهاون ويكفي ما جرى وما ذهب منا سدى فان ارتكنا على الشروط فقد ارتكنا على اوهن من العنكبوت فاننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا وقد وقع عليها الدول فكيف ننفذ شروطاً بيننا وبين رجال جعلتهم الدول ذرائع للتداخل ووسائل لاسوء المقاصد · ولقد اذهلتنا اعمال اوروبا التي لم تسمح لشرقي بامتلاك شبر في ارضها وهي تخرجنا من مساكننا ونقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها او يجاريها فهي لا تعترف اننا معها في ثوب الانسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ان دولة من دول اوروبا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية وتنادي اول دخولها انها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً فلا تقدم على العمل بل تفعل الشيء على قبول التجربة فان نفذ فقد مضى وان عورضت فيه التزمت التأويل كما تفعل فرانسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الاسلامي بل تنسخ مقابلها من احكامه ونشرته في البلاد واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ولما لم تجد معارضاً اخذت تحول كثيراً من مواده الى مواد ينكرها الاسلام توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم نلبث ان جاريناها واخذنا بقانون يشبهه ان لم يكن هو هو ولم ننتطح في اصلاح مواده المخالفة عنزان ثم تداخلت في الاوقاف واستولت على غلتها

ومنعت المستحقين وطردت كثيراً من خدمة المساجد اقتصاداً مالياً وتخفيفاً دينياً ثم رفتت ضباط العساكر الوطنيين الكبار واستبدلتهم برجالها خوفاً من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم او يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية والزمتهم بتعلم لغتها والاخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لا يشم الابناء رائحة الدين لئلا يعلموا انهم يغايرونهم ديناً فيثورون عليهم او يلتجئون الى دولة أُخرى وهذه عواقب الالتجاء الى دول أُوروبا والاغترار بوعودها الخلبية وشروطها المكتوبة بالماء على صفحة الهواء . وهذه دولة الروسيا دخلت مرو وهراة وبخارى باسم حمايتها من اعدائها وبعثت اليها بتجارتها فنفذت ثم برجال يساكنون اهلها فمضوا ثم بعساكر في الحدود فاقاموا ثم بشروط تربطها بها فأمضيت ثم هي آخذة في تقدم لغتها هناك توصلاً لاعدام اللغات الوطنية التي يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء اهلها واخذهم بناصرها بعلة تأييد المركز الخديوي الشريف ثم زيد على تلك العلة علة بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات اوروبا وقد بذلت مافي وسعها في التحسين والتنظيم بما يتراأى لها ولم تجد غير آذان سامعة وايد عاملة ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها في شيء مما دخلت لبثه فينا بل تركناها تفعل افعالها ونحن نتفرج عليها كاننا في ساحة سياوي يرينا من اعماله العجائب ونحن في حيرة من العابه المدهشة . ومن جهل اعمال انكلترة في مصر بيناها له ليرى انه حقيق بما يوجهه اليها من النكير . اولاً اطلقت حرية المطبوعات والافكار فرأينا الجرائد الكثيرة تتكلم بما تريد وتتصرف في افكارها كيف تشاء . هذه

نقول انا وطنية أُنادي بأن خير البلاد وصلاحها موقوف على جعل الاعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية الجليلة تحت مراقبة بريطانيا حتى اذا رأَتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق النافذ وفت وعدها واجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم في بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الاسود والسرب وغيره مما هو اقل من مصر بكثير والامة مرتاحة لها . وهذه تقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز ووضع الادارات تحت ايديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهيأ المصريون لاستلام اعمالهم لاتبالي رضي عنها المصريون او غضبوا منها . وهذه تقول ان فرانسا هي الدولة الوحيدة في المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأييد الخديوي ولا يضرها الا وجود الانكليز فيها . وهذه مذبذبة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه تورد لهم من مصادرات الاديان ما يوقعهم في الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه طبية . ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون ويتجادلون لا رقيب عليهم ولا جاسوس ولما رأَت ان كثرة المؤثرات الفكرية لم تنبههم على طلب حقوقهم وظهورهم امامها بالتظاهرات الادبية استدلالاً على استعدادهم للقيام باعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض في المواضيع المتضادة وتلعب بالافكار الجامدة ونحن في بحار اللهو غارقون . ثانياً انها كفت يدها عن الاعمال عند دخولها مصر وسلمتها الى المصريين ظاهراً لتقيم الادلة لاوروبا انها ما دخلت الا لتراقب المصريين وتشير عليهم بما فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد امامها من يجعل هذا الظاهر باطناً بحصر السلطة في الذات الخديوية الفخيمة

والادارات في الوطنيين اخذت تقول وهم يفعلون حتى اصبحت تفعل وهم لا ينطقون وكانت تتقي باسمهم المطاعن الاوروبية حتى خلا الجو وأمنت الاعتراض فاخذوا يذمونها ويرمونها بخلف الوعد ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع في الخداع وهم غير محقين فانها ما دخلت الا لتعمل عملاً امام اوروبا فلما فوضوا اليهـا الاعمال استلمتها بهمة ونشاط . ومثلها ومثلهم كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم حملوني ما عندكم من اثاث وحلى وآنية فاخذوا يحملونه ما يريد من غير معارضة فهل اذا دخل عليه البوليس واهل الدار يحملونه بايديهم يقول هذا لص كلا بل يقول انه صاحب الدار وهؤلاء خدمه . ايرون ان الانكليز هم الذين نشروا منشور المومسات ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغاء تحت حماية القانون . ام هم الذين سنوا كشف الاطباء على البغايا واعطاءهن شهادات بانهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى في كل كتاب . ام هل قالوا للمصريين ستنفق ملايين في المقاولات والاعمال الهندسية من غير ان نسأل عما نفعل فيها فاياكم والسؤال عن مبالغ ستكونون عبيداً مكلفين بسدادها الى روتشلد وغيره . ام هم الذين اعطوا الالتزامات الوابورية والارضية ووسعوا نطاق المعاهدات الى ان ضيقوا كل عمل مصري . ام هم الذين منعوا المصريين من زراعة الدخان والحشيش لتروج مزارع اوروبا بخراب بيوت هؤلاء الضعفاء . ام هم الذين باعوا مهماتهم وآلاتهم بغير ثمن وربمـا اعطوا من اخذها شيئاً يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا او النبوت . ام هم الذين ابعدوا المصريين عن الخدمـة

وحشروا الغرباء في المصالح حتى اصبح الوف من المصريين لا يجدون القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلاً . ام هم الذين قللوا من تلامذة المصريين في مدارسهم واكثروا من استخدام الاجانب فيها وتدرجوا لاماتة لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الانكليزية لتنسى لغة القرآن فينسى بها الدين الواقف عقبة امام اوروبا كما يصرحون بذلك في مجالسهم واندية شوراهم . لا والله ما نالوا أملا ولا قارفوا عملاً ولا اذلوا رجلاً ولا خربوا بيتاً ولا هتكوا حرمة الا بالمصريين . ماذا على الانكليز اذا سعوا في ربح تجارتهم واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائقاً ايرجعون وهم لهذا مرتحلون . ومن يلومهم اذا وجدوا طريقاً لتوسيع ممالكهم لا خوف فيه ولا عقبات ايتركونه وهم في جميع بلاد الدنيا طامعون . كانوا يرون ان المصريين اذا راوا دولة حرة دخلت بلادهم لتأييد خديويهم واصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين الامم تجمعوا حول اميرهم حاملين كرسي فخامته على رؤسهم منادين باسمه قائمين بتنفيذ اوامره محافظين على حقوقه مستميتين في اختصاصهم باعمالهم والقيام بشعائر دينهم مجتهدين في حفظ الامن وخدمة البلاد حافظين لحقوق الاجانب والغرباء النزلاء والمجتازين جاعلين محافلهم التي استخدمتها اوروبا في مصالحها محافل وطنية تستخدم اوروبا في مصلحتهم فكانت تساعدهم على هذه الامور التي تعهدت لاوروبا ان تعلمها للمصرين وتوءهلهم اليها ولكنها رأت غير ما ظنت فلا لوم عليها اذا وضعت قدمها على عمائمنا لتعلو جواد الفخر والخيلاء .

لماذا نتالم من اعمالها وامراوءنا اقتصروا على القعود في القصور وركوب

العربيات للتفسح في المتنزهات وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء او صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون ونبهاؤنا في المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن والملك شيئاً متعللين بان محافلهم لا تتعرض للسياسة ولا للدين فاذا انصرف النبهاء عن وجهتي السياسة والدين فبمن تقوم الاعمال ويتقوَّم اود الحكومة ويبقى عمود الدين قائماً كبقية الاديان · ابالاخاء الذي ربطناه بين الاجنبي نتخلى له عن مرجع المجد واصل الشرف · وهل تريد اوروبا ان تنتصر علينا في حرب عوان باكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر في الملك والدين ليخلو لها الجو فتفعل ما تشاء وتغير ما تشاء مع ان النبهاء يمكنهم ان يستخدموا محافلهم في مصالح بلادهم فيتمكنوا بقواهم العقلية مما لا يمكنهم منه سيف ولا مدفع من غير اثارة فتنة او اراقة قطرة دم ويصلحون ما افسده الاغترار والانخداع ويحدثون في البلاد عصبية وطنية لا تردها اعظم امة عن مشربها المصري وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة · وما الذي استفاده النبهاء المصريون من الاخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتاخرهم واتخاذنا بيت مال لفقرائهم وعجائزهم · دعونا من المجاملة في الكلام والتستر بما استهجنه العقلاء ما ابتدعت المحافل الا لتصير الممالك دستورية وقد نجحت في ذلك وقلبت كثيراً من ممالك اوروبا وحيث اننا بين يدي حكومة دستورية فلم لم نؤيدها بعصبية وطنية ونظهر من اعمالنا ما تفتخر به انكلترة امام اوروبا والا فان بقي الامراء في البيوت والنبهاء في المحافل على ما هم عليه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول اوهام الاجنبي وارهابه

والخديوي الاعظم ينظر الى هذه الجموع نظر الاب الرحيم الى الأبناء العاقين فلا نعترض على بربر افريقية فضلاً عن الانكليز اذا جاؤا واخرجونا من مساكننا وابعدونا عن عائلاتنا وتمتعوا بما نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع وعقار . مضت والله ايام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدي خديوي يريد ان نجاري الانكليز في الاعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ونحن عن ارادته السنية ساهون . ويحب ان نتقدم في التجارة والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على ازمة امورنا ونحفظ عرشه المصري بالمصريين ولكننا عن نظره العالي عمون . يتألم من ضياع المصري والاستخفاف به وتركه في زوايا الاهمال اكثر من تألم المبعدين ولو احسسنا بما عنده من الآلام لبتنا لمضاجعنا جافين . ان اوروبا تنظرنا من بعيد لترى اعمالنا وما نتقلب فيه من الاحوال وما تهددنا اليه انكلترة مما نؤيد به الخديوي الافخم كمنشورها التداخلي ونحن عن هذا كله لاهون . كفوا ايها المصريون عن القيل والقال فقد عيرتنا الامم باننا نقول ولا نفعل واظهروا بين يدي انكلترة برجال يسرها تجمعهم حول اميرهم الذي جاءت تؤيده واطلبوا منه حقوقكم المقدسة واشكروا انكلترة على ما اوصلتكم اليه من الحرية التي تركتكم تتظاهرون تظاهرًا ادبياً طلباً للحقوق وسعياً خلف الحقائق والامتيازات الوطنية فان كل انكليزي يراكم في هذا التقاعد وهو يدأب في عمله الليل والنهار يقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعالنا

كلكم قائل « بيدي لا بيد عمرو » مضت السنين العشر التي قابلتم غرتها بالافراح والزين وطرتم فيها حول الاوهام طرباً وسروراً وعميتم عن سوء

العاقبة فانشد شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحاً وثناء وشربتم الخمور جهاراً باسم من استعد يتموهم على بلادكم ونصرتموهم بتثبيط اخوانكم وبذلتم اموالكم وارواحكم في دخولهم البلاد والتخلي لهم عما بايديكم من الاعمال · ولطالما طأطأتم الرؤس وحنيتم الظهور وركعتم امامهم تعظيماً وتسليماً وبصقتم على وجوه اخوانكم ولبستم اجمل ثيابكم تنتظرون يوماً يقتل فيه مائة الف مصري · فهذه الايام تريكم كيف تدور الدوائر وكيف تنقلب الاحوال بالاهوال على من لم يقرأ العواقب ومن يلقي نفسه بين نيوب الصّل خائفاً من العظاية (السحلية) فقد ابدلت المصائب الولائم الاجنبية بالمآتم الفقرية ودعتكم لتكسير اعواد الطرب والسرور وضرب دف الندب والرثاء · وهل تجزون الا ما كنتم تعملون · مضى امس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره وانذاره وقد سار المرحوم افندينا توفيق باشا الى جنة ربه · وزين عرش الحكومة المصرية المحوظ بعناية الله تعالى افندينا عباس باشا الثاني ولا عسكرية تطلب منه حقوقا وطنية فيقال انها تريدان تستبد عليه او تضعف سلطته فأولى ان يستعين بدولة كذا · ولا خوف عنده من اجنبي يهدده بمنشور ينشره ليجعله وسيلة للتداخل العدواني · ولا احزاب بين يديه فرقتهم الضغائن الباطلة فشقوا عصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل ونزغ محتال · بل هو الهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع اجناس رعيته على اختلاف اديانهم الساعي في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتاج في تنفيذ ارادته الا الى رجال نبهتهم صدمة اوروبا الى الرجوع عما هم فيه من الاغترار والاستغفال فخاطوا أميرهم مخلصين في انقيادهم اليه لينادى بهم

رجال انكلترة قائلاً هؤلاء رجالي الذين تريدون ان تؤيدوا بهم حكومتي النظامية فضعوا الاعمال في ايديهم واختبروهم فيما يقومون به من الاعمال · هؤلاء الذين ربتهم مصر وشهدت لهم اوروبا ووقفوا مع سابقيهم تسعين سنة يديرون الاعمال بانفسهم ويصلحون البلاد حتى حاكوا بها مدن اوروبا الشهيرة بل ربما وجد الاجنبي فيها من الراحة ما لا يجده في اعظم مدن اوروبا هؤلاء الذين قلتم لاوروبا اذا وجدنا قوماً لهم قدرة على الاعمال وفيهم استعداد لحفظ الامن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلام فهلا جربتموهم في عمل · هؤلاء الذين لا يحتاجون لمجاراة غلادستون في سياسته ولا بسمارك في خداعه ولا القيصر في شدته فانهم يديرون اعمالاً بسيطة مكفولة بالقوانين والنظامات ليس فيها سعي خلف استعمار ولا اجتهاد في نشر دين ولا تحايل على توسيع حدود فاية صعوبة في مثل هذه الاعمال · هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم في مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمي عنهم وقلتم في مصر من الرجال فلان وفلان ولا يحتاجون الا الى مراقبتهم مدة قصيرة في ادارتهم الجديدة · هؤلاء الذين درسوا اعمالكم وحفظوا نظامكم ووقفوا منتظرين تحقيق الآمال وصدق الوعود فعلام تتعبون في تهذيبهم ان كانوا لا يصلحون · وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم اصولكم العسكرية والادارية والمالية والقضائية ان كانوا لا يفلحون · هؤلاء الذين هم احق واولى من غريب تستخدمونه باموالهم المتحصلة منهم وتنفقون عليه من ذهب ما دفعه اوروبي ولا حصله غير مصري · فاي مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الادبية اصرنا اقل درجة من فعلة الانكليز

والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم واذهلوا العالم بافعالهم التي ما دخلها شغب ولا تخللها خلل . وكاني بدخيل يوسوس للاجانب قائلاً ان الاستاذ يدعو الى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الاراجيف من الدخلاء وتسليط الاوروبيين على كل بلد نودي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجراً في فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفتيه بكلمة اغراء . ان المصريين قد جربوا انفسهم في التظاهر بالقوة فوقف شققهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثيرو العدد والعُدد والآن لا قوة بايديهم ولا سلاح وقادة الجند من الاجانب ولا يحمل العسكري الا بندقية فارغة حكمها حكم عصا الراعي ولا موجب لحركة الاهالي حركة عدوانية بعد خضوعهم لاميرهم وانقيادهم اليه في السر والعلن وقد تادبوا وعلموا دسائس اوروبا وتنبهوا لمقاصد الدول وسعيهم في اتخاذهم آلة لبلوغ مآربهم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصري الا وهو يعلم الآن ان اوروبا لا تصدق في قول ولا تفي بوعد ولا تحب شرقياً ولا تسعى في خير مصري وانما هي ملاعب سياسية يقدمونها بين اعين الجهلاء الذين لا خبرة لهم بدهاء الدول ومطامعها يستميلونهم بها استمالة الطفل بقطعة حلوى او ثوب منقوش . ومن انتهى بهم الامر الى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من المعدات الآلية وعدم حاجتهم اليها يستحيل عليهم ان يكدروا صفو الراحة بشغب اصوات فضلاً عن قعقعة سلاح . وما يدعوهم الاستاذ الا الى مجاراة الاوروباويين فيما هم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظة

على حقوقهم ولغاتهم واديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال باعمال بلادهم فانهم لا يجهلون ان كلاًّ من البلغار والسرب والجبل الاسود ورومانيا اقام تحت تصرف الدولة العلية اكثر من خمسمائة سنة وفي هذه المدة ما استطاعت الدولة ان تغير دينهم او لغتهم اوعادتهم بل حافظوا على الاصلين العظيمين اللغة والدين وزاحموا ولاة الترك في الاعمال والادارات واكثروا من الصياح والاستنجاد حتى وقعت الحرب الاخيرة واستقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة او عهد دين او اعادة معبد ووجدوا انفسهم هم الذين كانوا قبل ذلك بخمسمائة عام وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميع اوروبا وثنائها عليهم وكان من اعظم المساعدين لهم بل المحركين لهم نفس انكلترة التي نريد ان نجاريها في اعمالها او نجاري من انجدتهم من بعيد ونحن اقرب اليها من حبل الوريد . والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصرياً كان او غير مصري واظنه لا يسمع الا قول المخلصين انها اخبار بحقائق وطلب بحقوق لا تمس شرف رجل ولا تتعرض لامة ولا تطعن في سياسة وانما هي محض درس تهذيبي لمن يسوءهم قول الاوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قضى المسلمون مع الاقباط ثلاثة عشر قرناً وهم في اختلاط اهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ماجرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين كما نشاهد ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب املاكهم وحليهم واستحلال تعذيبهم وسوقهم الى سبيريا حفاة فيهم القيود والاغلال وتخييرهم بين الانتقال من دينهم او الرضا بالاشغال الشاقة في سبيريا التي هي

جهنم العذاب او جهنم شبيهة بها · ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع الجزويت وهم اخوانها في الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل ما فعله البلغار مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم في الجمعة يصلون ولا مثل ما فعله الروس في الشركس الذين اضطروا لترك اوطانهم واثاثهم وماشيتهم وهاجروا الى بلاد الدولة مشاة لا يحملون الا اجسادهم · بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع في شق عصا اجتماعهم وتفريق كلمتهم لنتخذ ذلك ذريعة الى امر مطوي في باطن المستقبل ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها في شان مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الاقباط حريتهم في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجاباً بين مصر وبين تلك الدعوة التي تعودتها اوروبا تغريرًا وتضليلاً وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية لا وجود لها في الخارج · ولهذا نرى المسلمين متألمين من انشقاق اخوان الوطنية وحل رابطتهم التي مضت عليها القرون الكثيرة وهي اوثق رابطة عقدت عليها القلوب لا الخناصر والكل يهجس ويخمن في الباعث والعاقبة فقدادبتهم مساعي اوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها اساليب شتى للاذلال والاستعباد على ان الامر لو كان متمحض القبطية لساء المسلمين تنافرهم وهجرهم كنائسهم ومقابلة بعضهم بعضاً بصدور ممتلئة غضباً وحقدًا بعد ان كانت وعاء الفة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الاجنبية وحسنة من حسنات اوروبا التي تتصدق بها علينا · ولسنا نتكلم في الشقاق من حيث داعيه وانما نتألم منه

من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفي في فصل القضاء بينها احد العقلاء حرصاً على الجنسية والجامعة الوطنية وجبراً الصدع قلوب كلها فروع اصل واحد ولا نتكلم على الباعث الديني با كثر من أملنا في التوفيق بين الفريقين وسد الاذن عن سماع الاصوات الاجنبية التي تحرك النفوس وتظلم القلوب وتدخل المجموع تحت كلية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

فيا بني مصر لم تبق قطعة في الارض الا والجرائد تنقل لكم اخبارها وتريكم اعمالها فاذا لم تكونوا اهلاً للاختراع كما قال لكم احد الانكليز فقلدوا عقلاء اوروبا في افعالهم وكفاكم الاغترار بترهات المضلين واللياذ بالاجنبي الذي سلبكم ثوب المجد ولم يبق الا ان ياكل لحمكم ويشرب دمكم غيظاً على امة تدفعها الطوارئ الى وهدة المصائب وهي قادرة على دفعها ولا تتحرك ولاحركة مذبوح . ليُعد المسلم منكم الى اخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلاً واحداً يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر المصريين . ايكفينا من الثروة ان نرى اكبر تاجر منا لا تزيد ماليته عن عشرين الف جنيه واذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التاسع وقفت بنا الاعداد اما تتحرك الهمم الخامدة لفتح مجال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيراً وتفتح بيوتا اغلقت ابوابها اوكادت اعجزنا عن مجاراة الامم حتى في هذا العمل الذي يقوم به الاميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد . ألا تقدرون على عقد شركات تشتري اجزاء من اطيان الدومين او الدائرة لتربحوا منها

وتستخدموا فيها اخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما اضاعه الاسراف في الملاهي والخروج عن الحد وصيره في يد الاجنبي · افلا يحسن في اعينكم ان تفتحوا مدارس لابنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم و بين الوجهة الاوروبية التي تغرسها ببلادنا مدارس اوروبا في اذهانهم تداركوهم قبل ان تفقدوهم · عرفوهم انكم آباؤهم قبل ان ينكروكم · لقنوهم ما انتم عليه من الدين قبل ان يخالفوكم · حفظوهم تاريخ بلادكم واجدادكم قبل ان يجهلوكم · ردوهم الى الوطنية قبل ان يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم الى من ربوهم وتبنوهم «جاوزَ الحِزَامُ الطُّبيَيْن» ومرق السهم من الرمية واصبح لفيفهم ينادي غافلكم

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلي والا فأدركني ولمَّا أُمزَّقِ

وارحمتاه لصبية وضعهم الله تعالى امانة في ايدينا فخنّاه فيهم واسلمناهم الى اجنبيٍّ يسقيهم شراباً ماشربه الآباء و يسوقهم في طريق ما سلكه الاجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزغات السيئة ولا ندري مايمنعنا من ذلك أأخذت أبناؤنا في الحديد وسيقت الى هذه الساحات الاجنبية لا والله · ام اكرهنا الحاكم على ارسال ابنائنا الى الفرير والامريكان وغيرهم لا والله · ام جهلنا مايتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله · نحن الذين سلمناهم بايدينا وصرفنا على اخراجهم عنا من مالنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدي الله مسؤلون · نعلم ان اوروبا لا تعطي شهادة لتلميذ الا اذا احسن لغته كل الاحسان ولا تدخل تلميذاً يغاير التلامذة مذهباً الا اذا صلى على مذهبهم او

يبعدونه عنهم وتنقل لنا الجرائد اخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترة الحريصة على جنسيتها المتعصبة لدينها اشد التعصب تطالب الامة بتعليم ابنائها حقوق الوطن والجنس مع انه ليس وراء ما هي فيه من ذلك مطلب لطالب . وهذه فرانسا تصدر المناشير الى الكنائس تلزم الامة جميعها بالصلوات لله تعالى رجاء ان يخلصها من العراقيل التي هي فيها وهاتان هما الدولتان اللتان تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لا نقلدهما في المحافظة على الوطنية والجنسية والدين وننادي بذلك في القرى والمدن وحجتنا حجتهم وحاجتنا حاجتهم . نرى كثيرًا من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الاجنبي لياذًا به وطلبًا لمعروفه فهل تناول منه الا لقمة لو لم يجده لطرحها للكلاب لكونها فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس في حضرته الا مهينًا مزدرى منظورًا اليه بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من اضعف الاعمال الا ليستعمله آلة في تنفيذ آماله وتحقيق امانيه وهل بش في وجهه مرة الا ليدخل عليه غفلة الرحمة والحنان ليصرف انظاره عما يراه من سلب الحقوق . آن والله ان يتبصر المصري ويشابه رجال اوروبا في الاخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصًا على ما بقي وطمعًا في فرص المستقبل وتحقيقًا لآمال الانكليز في صلاحنا على ايديهم حتى لا يبكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

« طول العمر يبلغ الامل » وبالرفق يستخرج الانسان الحية من وكرها فلا يحملن الطيش الاحمق منا على التهور والتخلق باخلاق البهيم فانا نعلم ان صيانة بلادنا موقوفة على حفظ الراحة ومعاشرة الاجانب والنزلاء .

بالمعروف وبقائنا على الهدو والسكون وبعدنا عن الفتن التي يحركها الدخيل والاجنبي لمصلحة دولته فيجني ثمارها ويلحقنا عارها وناهيكم مذبحة الاسكندرية التي نعيرنا بها اوروبا الى الآن وهي تعلم من احدثها من رجالها بحيث تسميهم رجلاً رجلاً ونقدر ما صرف للاجراء جنيهاً جنيهاً وقد نجحت من نسبتها اليها وجعلتها فوباء في غرة مصر ومصر بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذي الحقه بنا بعض المامورين في فتنة طنطا التي دفعته اليها اليد الاجنبية ايضاً فباء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة ولحق ببيته غير ماجور على سعيه ولا مشكور على فعله وهذا جزاء ضعفاء العقول الذين يتجرأُون على ضرر عباد الله واهلاكهم في مصلحة من يرضيهم بما لا يساوي قلامة ظفر انسان تالله انه لو جاز لمصري ان يصرح بكل ما يعلم لذكرنا من الحقائق العدوانية ما يكون عبرة وذكرى لقوم يعقلون · وفي الاشارة ما يغني عن الخبر · فاعتبروا يا أُولي الالباب · ومن لم يقرا العواقب وقع في المعاطب · والعاقل من اعتبر بغيره · فالله الله ايها المصريون في انفسكم واميركم واعراضكم واموالكم وبلادكم · جاهدوا انفسكم في توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن ابواب اوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم امة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة على حقوقها والمطالبة بخصائصها ولا تشغلكم المظاهر الاجنبية عن تصحيح اغاليطكم وتطهير بواطنكم ولا تظنوا انكم عاجزون عن استرجاع مجدكم والقيام باعمالكم فانما انتم بشر مثل رجال اوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجهلناها ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم

وجنسيتهم وتهاوناً في البعض وتركنا البعض فاذا جاريناهم في طرقهم الوطنية ساويناهم في الخصائص والمزايا ودوّنّا لنا تاريخاً جليلاً يفتخر به الابناء وترحم بسببه الآباء . عما قريب تنبش قبوراً بائكم واضرحة عبادكم وسادتكم لتؤخذ تلك العظام النخرة الى معامل سكر اوروبا حتى لا يبقى هناك اثر لذي مجد من الشرقيين فان خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدي تراب قبورهم فاننا نرى الاوربيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها في اوطانهم حتى يزورها الآتي ويقرأ تاريخها العجيب . لا تظنوا ان هذا لسان التخريف او التزييف فانكم ان استبعدتم الامر وانتم على ما أنتم فيه من التهاون والاهمال فكل ما هو آت آت وان تنبهتم لذلك وحافظتم على اوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم المكفولة ببقاء الخديوي الاعظم في منصة حكمه مؤيداً بخضوعكم اليه وتأييدكم مبادئه الوطنية واعماله الاصلاحية رضي الله عنكم وارضاكم وحفظت اضرحة ساداتكم وقبور موتاكم . وما ذلك بعزيز على امة خالطت كل الامم وقرأت تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم للوطن وحكومته وساح فريق منها بلاد اوروبا وعرفوا طرق التقدم والاصلاح . افيليق بمن هذه صفتهم ان يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوي وفي الخمارات او اجتماعهم للتشاتم والتقاذف بالمذام والسعي في المضار لا والله ان هذا لمن اكبر العيوب واعظم المصائب ومن لم تنبهه الحوادث فهو الغافل ومن لم يؤدبه الماضي اضر به الآتي افلا يحركنا قول اوروبا لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

« انا اخوك فلم انكرتني» ما الشام ومصر الا توأمان ابوهما واحد يسوءٔ

الاثنين ما سأ احدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم في مصر الم يكن الاجدر بنا ان نصرف عاومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها · ابراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا اخاه ووطنه بل جنسه ودينه ام بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جانٍ · بئس والله ما اوصلتنا اليه هذه الخزعبلات التي نسميها معارف وآدابا · زرعنا الاحقاد في قلوبنا بغياً وعدواناً · اهلكنا انفسنا بالعداوة في غير مصلحة جهلاً وحماقةً · فضحنا انفسنا بنقل عوراتنا للغير سفاهةً وجنوناً · بعنا هيئتنا للاجنبي بلا ثمن خبلاً وبلاهة · ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لحسدتنا المعالي ووقفت اوروبا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال ولكن قضت شقوة الشرقيين ان يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم اصطلاءً وطبخاً واستعمالاً فيما يشأ · والعهد قريب والعود غير عسير فما نتكلف في جمع الكلمتين وتوحيدها اكثر من الانصراف عن شياطيننا الذين قاموا فينا خطباً ووعاظاً بدروس يتلقونها اليوم بعد الاخر عن الاجنبي وتبادل الزيارات والمسامرة في المجامع واخلاص السير وما ذلك على الله بعزيز · والا اذا بقينا على هذا التنافر والتضاد اتخذنا الاجنبي آلات لتنفيذ اوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الامر الى ما لا تحمد عقباه بجهالتنا واعتمادنا على العضد الاجنبي وفي ذلك من الخزي والعار ما لا تمحوه اكبر الحسنات · وا أسفاه على رجال قضى اباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان

لا يفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم اجنبي فجاؤا من بعدهم وخالفوا سيرهم وحالفوا غيرهم وخدموا الاجنبي بمساعدته على التداخل في بلادهم بل على الاستيلاء عليها لا لعداوة بين الامتين ولا لحرب جرت في الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ · وان قيل ان جامعة الدين اضطرتهم قلنا ان عز الاستقلال بالوطنية خير من الازلال بجامعة الدين فان الاجنبي يغر الرجل منا حتى يوصله الى غرضه ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء ولا يعرف له حقاً غير خدمته ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً في الاستخدام والاستعباد · انقول هذا وقتنا فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالي جاء المستقبل على اهلنا واخواننا بالعز او بالهوان · بئس ما يختاره الرجل لنفسه من ان يطعم لقمته مغموسة في دماء جنسه واخوانه · ان البهيم ليدافع عن جاره فضلاً عن نوعه فكيف يرضى العاقل ان يكون اقل فضيلة من البهيم · ان كان هناك اعتقاد بجنة ونار فتقربوا الى الله بما يدخلكم به جنته وليس ذلك الا البعد عن مساعدة الاجنبي على اخوانكم وان كان الاعتقاد وجود الله وخلود النفس فقط او لا رب ولا إله كما يقول الفريق المدني الاحمق فبيضوا صحائف التاريخ بمجد خالد وذكر جميل وان كان لا اعتقاد رأساً ولا مجد ولا شرف وانما هي بهيمية محضة تبعثنا الطبيعيات فيها الى ما لا تعلق للعقل فيه فيا سوء ما وصلنا اليه · وبالجملة فان آخر الدواء الكي وقد بلغ السيل الزبى فان رفأنا هذا الخرق وشددنا إزر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتركية امكننا ان نقول لاوربا نحن نحن وانتم انتم وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالاجانب فريقاً بعد فريق حق لاوروبا ان

تطردنا من بلادنا الى رؤُس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي وتصدق في قولها لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

—*—

الاستاذ والمقطم

اطلعنا احد قراء المقطم الابلج على عبارة فيه نصها — ذكرنا في عدد اول امس من المقطم نبذة تحت عنوان سد الاسكندر واصلاح خطاء اوضحنا بها ما وقع من النقص عند طبع الفقرة التي وردت في مقتطف الشهر الماضي ثم رأَينا امس في جريدة الاستاذ الغراء كلاماً على الفقرة التي وردت في المقتطف وذلك بعد ان نشرنا الاستدراك المذكور آنفاً في المقطم وكان بنشره غني عما اطال به حضرة الاستاذ الفاضل وخصوصاً بعد ان تبين له من خلال الاستدلال انه لم يكن قصد المقتطف التعرض لامر الدين بوجه من الوجوه جرياً على خطته التي لم يحد عنها منذ سبع عشرة سنة حتى الساعة كما شهد الاستاذ الاغر بذلك في اثناء كلامه اما الآن وقد ثبت له حقيقة قصد المقتطف من تلك الفقرة وهي عدم وجود دليل تاريخي على كون باني السد الاسكندر المكدوني او هو غيره من ملوك حمير فالذي يؤمل من حضرته ان يصلح ما تعجل في كتابته رعاية لأدب الكتاب وتقريرًا للصواب وله منا الشكر الجزيل اه فقلت له كان على المقطم الاغر ان يقتصر على شكر الاستاذ الذي نبهه وبعد عن الظن السوء في المقتطف فان احد افاضل السوريين حضر عندي بعد طبع الملزمة التي فيها الملاحظة على عبارة المقتطف وقرأْت عليه العبارة بنفسي فتوجه الى ادارة المقتطف ونبه على

ذلك فقيل له ان تلك عبارة دائرة المعارف بنصها فلما عاد واخبرني قلت له ان الفصل بالنقطة يخبران ما بعدها لدائرة المقتطف وهو محل الاعتراض فان دائرة المعارف لم تنكر القصة بل حكتها على ما قيل فعاد الى ادارة المقتطف واخبر بذلك ثم جاء وقال ان ادارة المقطم ستتدارك ذلك في هذا اليوم فالمستدرك هو الاستاذ في الحقيقة ولو كان له نية غير صالحة ما نبه ادارة المقتطف كيف والمقطم الاغر يقول واصلاح خطاء فاعترف بان هناك خطاء ينبغي اصلاحه وهو الذي نبه عليه الاستاذ ثم قال ما وقع من النقص عند الطبع فاقران هناك نقصاً وهو الذي بنى عليه الاستاذ ملاحظته وليس للمقطم ان يقول وكان بنشره غنى عما اطال به حضرة الاستاذ الفاضل الا اذا كان تنبه من نفسه ولكنه نُبه بعد مضي ايام على المقتطف فتنبه والمنبه الاستاذ فكان عليه ان يشكره لا ان يلومه اما كون خطة المقتطف دينية او غير دينية فان الاستاذ لم يتعرض لذلك وانما لا خط ما سماه خطاء ونقصاً في النسخة المعينة فان رد العبارة كلها تكذيب لما جاء في التوراة والقران من خبر يأجوج ومأجوج والانجيل مصدق ومقرر للتوراة فيكون التكذيب منصباً على الكتب الثلاثة وهذا الذي حسن الاستاذ ظنه في جعله غير مقصود للمقتطف ومن هذا تعلم ايها الصديق ان عبارة المقطم الاغر هي المحتاجة للاصلاح ولعله طلب منا رعاية ادب الكتاب مشاكلة لما طلبناه منه لكونه انزل الملاحظة على المقتطف منزلة الطعن في التوراة والانجيل والقرآن ولقد ابعد فيما رأى فبين الجانبين بعد المشرقين. اما طلبه تقرير الصواب فقد اجبناه وقررناه لك في هذه العبارة واولا ان

الفاضل السوري ترجانا في عدم التصريح باسمه في مجمع من السوريين والمصريين لصرحنا به ولكن لا حاجة لذلك وما كنا نحب ان نكتب شيئاً في هذا الباب بعد سده ولكن اخذ المقطم الحق لنفسه وعدم اعترافه بما نبهه عليه الاستاذ وخشونة عبارته في جانب من تلطف معه اوجب ايضاح الحقيقة لئلا يظن القراء ان عبارة المقطم حقة فيوجه اللومُ على الاستاذ وحاشا ان يتعرض الاستاذ لحضرات الافاضل المنشئين من اي جنس كانوا بغير حق او ان يخرج عن ادب الكتاب الذي طلبه من المقتطف ويطلبه من المقطم الابلج والله تعالى يحفظ قلمنا من التعرض لخدمة المعارف والاداب فان حرفة الكتاب تسمى حرفة الادب

الوزارة الجديدة

تشكلت الوزارة الجديدة تحت رئاسة صاحب العطوفة والفضيلة حسين فخري باشا واستبدل سعادة ابراهيم فؤاد باشا بسعادة احمد باشا مظلوم وسعادة عبد الرحمن باشا رشدي بسعادة بطرس باشا غالي وبقي كل من اصحاب السعادة شهدي باشا وذكي باشا وتكران باشا في مراكزهم والامل في الله تعالى ان يجري الخير للبلاد والعباد على يد هذه الوزارة التي شخصت لها الابصار وتعلقت بهم رجالها الآمال

—*—

تبرع بجريدة

ارسلت نظارة المعارف المصرية تشترك معنا في نسخة واحدة لمدرسة اسكندرية فقدمناها تبرعاً وبودنا ان لو طلبت كثيراً من النسخ وتبرعنا بها

لحضرات التلامذة املاً في مطالعتهم جريدة تكتب بلغتهم

— * —

نتيجة التعليم الاجنبي

اجتمع فاضل من المصريين بصديق له وسأله عن ولده فقال له انه بمدارس الجزويت بالشام فقال له اضعت ولدك وألجأته الى الخروج من دينك فاني دخلت تلك المدارس ورأيت الدروس التي تعطى لابناء المسلمين هناك فوجدتها كلها مسيحية ووجدتهم يلزمونهم بالصلاة مع ابناء المسيحيين فتنبه الرجل وارسل استحضر ولده فوجده مسيحيّ الاعتقاد افرنجي الطباع فارسله الى المدرسة التوفيقية ليتم تعليمه فيها وفي اثناء وجوده بمصر جاءته مكاتبة من المدرسة اليسوعية يستفهمون بها عن عقيدته وما صار اليه بعد مفارقتهم ومنها قولهم « اننا طلبنا منك صورتك فلم ترسلها ومن هذا علمنا انك بقيت على الاسلام فان المسلمين يرون تحريم الصور وقد اضعت تعاليمنا ونصائحنا التي اعطيناها لك مدة الخمس سنين التي اقمتها عندنا وهذا كان منك غشاً حيث كنت تظهر لنا التنصر واتباعك نصائحنا وتخفي الاسلام في باطنك فنحن ننتظر منك ارسال الصورة والافادة عن عقيدتك والا غضب عليك المسيح الذي تركت دينه بعد ان اعتنقته وتعلمت قواعده واياك ان تعود لدينك بعد ان اقمت خمس سنين تدين بدين المسيح » وفي الجواب كلام طويل من هذا القبيل وهذه طريقة كل مدرسة اجنبية لا تخالف الواحدة فيها الاخرى فليعلم المسلمون الذين يرسلون ابناءهم الى مدارس الاجانب انهم سعوا في اخراجهم من دينهم ونصّروهم بانفسهم فعليهم

الاثم والوزر في كل خطوة يخطوها الولد الى المدرسة وسيعاقبون على ذلك بغضب الله وتعذيبه يوم يسأل كل واحد منهم عن هذا السعي القبيح — ومع هذا لا نسمع من الاوروبيين الا قولهم ان المسلمين متعصبون تعصباً دينياً فأي تعصبٍ عند قوم لا يحافظون على دينهم في ابنائهم فضلاً عن التعصب اليه واي حرية تدعيها اوروبا بعد الزامهم ابناء المسلمين بالتنصر والاخذ بدينهم رغم انوفهم ولكن لجهل المسلمين هذه الحقائق بما تنشره عليهم الجرائد الكاذبة من حرية الاديان في اوروبا وعدم تعصبها لدينها ارسلوا ابناءهم لتلك المدارس وكفوا عن التكلم في دينهم فراراً من نسبة التعصب اليهم اما وقد انكشفت لهم الحقائق فنحن ننبه كل والد ولد في مدرسة اجنبية انه خرج من دينه وان الزمه القسوس بانكار ذلك ان سئل عنه لخوفه منهم او رغبته فيما يزينونه له من اللغة والالعاب والاخلاق الاجنبية فان لم يتداركوهم والا فعليهم الوزر في الآخرة ولهم الذكر القبيح في الدنيا

—*—

شكر عناية

في هذا الاسبوع صلى تلامذة مدرسة طنطا الاميرية الوقت الاول في مسجدهم الجديد وقد حضر افتتاح المسجد عدد كثير من العلماء والاعيان يقدمهم سعادة فيضي باشا مدير الغربية وعند ما جاء وقت الظهر صلى بهذه الجموع والتلامذة الاستاذ الفاضل سلالة الطيبين الشيخ السيد محمد القصبي شيخ الجامع الاحمدي وتلا التلامذة مقالات عديدة كلها ثناء

على الحضرة الخديوية وشكر لعناية ديوان المعارف بهذا الأثر وكان المعين لحضور هذا الافتتاح نيابة عن عموم المعارف الاستاذ الفاضل الجهبذ العلامة الشيخ حمزة فتح الله وقد خطب في ذلك الجمع خطبة أنيقة . وقد اذكرنا هذا الصنيع صنيع ساكن الجنان المرحوم محمد علي باشا حيث كان يبني بكل مدرسة مسجدًا ويعين له اماماً ومؤذنا وقد راينا تلك المساجد تحولت الى مطابخ ومخازن فعسى ان تعود تلك النشأة في مدارس تنسب الى امة اسلامية يحكمها امير مسلم فنرجو نظارة المعارف العمومية تعميم ذلك في المدارس ولها الثناء الحسن الجميل على هذه المساعى الوطنية واظهار شعائر دين التلامذة وآبائهم اقتداء باوروبا في مدارسها ان لم نقل محافظة على دين اهل البلاد وشريعتهم . ونعد هذا من حسنات افندينا عباس باشا الافخم لاحياء الدين في عصره المبارك حفظه الله تعالى

—*—

تنبيه

حيث ان المقالة المدونة بهذا العدد استوفت الملازم الاربع لم نصدر ملزمة كان ويكون لاستيفاء حق الجريدة وسنعود لنشرها معه كالجاري في العدد الآتي ان شاء الله تعالى

